

معركة القسطل



استمرت حتى التاسع من أبريل/ نيسان 1948

الأطراف: جيش الجهاد المقدس والمتطوعون – الهاغاناه (لواء عتصיוوني ولواء البلماخ)

النتائج: احتلال القسطل، والكثير من الشهداء على رأسهم عبد القادر الحسيني.

معركة القسطل

معركة القسطل معركة فاصلة في التاريخ الفلسطيني، حيث أستشهد فيها المجاهد **عبد القادر الحسيني** في محاولة استبسالية في الدفاع عن القدس. وقد جرت هذه المعركة بالقرب من قرية القسطل والتي تعتبر من مداخل مدينة القدس الاستراتيجية.

مدينة القسطل

القسطل قرية عربية تقع على مبعدة عشرة كيلومترات إلى الغرب من مدينة القدس، وتشرف على طريق القدس يافا الرئيسية المعبدة من الجهة الجنوبية الغربية كانت الوظيفة العسكرية أهم وظائف القرية لتمييز موضعها بسهولة الحماية والدفاع، ومن هنا فقد سعى الصهاينة لاحتلالها في إطار خطتهم لفتح الطريق إلى القدس، وهي الخطة المعروفة باسم خطة (نحشون) .

اقرأ أيضا : قرية القسطل المهجرة قضاء القدس

عملية نخشون

هي عملية عسكرية إسرائيلية هدفها كان إسقاط مدينة **القدس** بالكامل. ويقول بن غوريون : ما أن أطلّ شهر أبريل 1948 حتى كانت حربنا الاستقلالية قد تحولت بصورة حاسمة من الدفاع إلى الهجوم. لقد بدأت عملية نخشون باحتلال الطريق المؤدية إلى القدس حيث نفق الآن وكذلك بيت محيسير وتوجت باحتلال القسطل التلة الحصينة قرب القدس.

واقع الأحداث

إلا أن الواقع أن عملية نخشون لفك الحصار عن القدس في مطلع أبريل 1948 قد هزمتها المقاومة العربية وبقي طريق باب الواد إلى القدس مغلقاً إلى ما بعد دخول الجيوش العربية إلى فلسطين. وإن قيام قوات الإنقاذ بالهجوم على مشمار هاعمك أصاب بالشلل عملية نخشون المذكورة عندما أجبر الصهاينة على الامتناع عن زج احتياطهم في منطقة تل أبيب - حيفا في تلك العملية لمحاولة فتح الطريق إلى القدس اعتباراً من سهل عمواس ومدخل باب الواد بالإضافة إلى هجومهم الفاشل على قرية القسطل مفتاح الطريق من جهة القدس بقواتهم المتوفرة في هذه المدينة وقد قاموا بهذه المحاولة أكثر من مرة وخاصة في شهر مايو 1948 قبيل مجيء الجيوش العربية فحاولوا فتح الطريق المذكور من مدخله الأول اعتباراً من القدس ومن مدخله الثاني في باب الواد من جهة تل أبيب، وقد اضطروا إلى إشغال احتياطهم الخارجي في ردّ الهجوم العربي على مشمار هاعمك وفي عمليات الهجوم الكبيرة التي شتوها في مختلف الجبهات المحيطة بقوات القاوقجي في المثلث جنين، نابلس، طولكرم.

محاولة استرداد القسطل

هاجم المجاهدون مستعمرة مشمار هاعمك أثناء انهماك الإسرائيليين في الهجوم على القدس القديمة لتصفية قوات الجهاد المقدس التي كان يقودها المجاهد عبد القادر الحسيني وفي محاولة فك الحصار المضروب عليهم بفتح الطريق إلى تل أبيب. وكان أن ذهب المرحوم الحسيني إلى دمشق يطلب عبئاً المدد بالسلاح والذخيرة من حكام العرب مستعينا بهم واحدا تلو الآخر وهم يرفضون المساعدة ويماطلون فيها إلى أن بلغه سقوط القسطل بيد الصهاينة، وقد قال لهم مقولته الشهيرة "سيكتب التاريخ أن فلسطين وقعت بيد اليهود بسببكم" وقد كان القسطل موقع هام الذي يتحكم بمدخل القدس. فأسرع بالعودة إلى القدس للعمل على استرداد هذا الموقع، فاستشهد وهو على رأس سرية من المجاهدين في تلك العملية.

الفصل بين القيادات

كانت الجامعة العربية، قد تبنت سياسة فصل القيادات الميدانية بعضها عن بعضها الآخر. فقد تلقى القائد فوزي القاوقجي مثلاً قبل دخوله فلسطين تعليمات مشددة من مفتشية الإنقاذ بعدم التدخل بأي شكل من الأشكال في شؤون الجهاد المقدس الموالي للحاج أمين الحسيني والمدافع عن منطقة القدس، وذلك بحجة تجنب الاحتكاك بين المفتي والقاوقجي الأمر الذي أدى إلى إضعاف الجبهة الداخلية.

تعاون القادة الميدانيين

ولكن لم يدم هذا وعلى سبيل المثال وفي مساء 7 أبريل عام 1948 وفد إلى مقر القائد فوزي القاوقجي في جبع النقيب العراقي فاضل العبد الله أمر حامية القدس من قبل مفتشية الإنقاذ مع نفر من قادة الجهاد المقدس طالبين المدد بالسلاح والرجال. وكان هذا الوفد قد أتى لطلب المدد هنا بموافقة عبد القادر الحسيني الذي كان حينذاك عائداً من دمشق لتوّه بعد أن يؤس هناك من الحصول على أية مساعدة لردّ الهجمة الشرسة للصهاينة على القدس. وقد استجاب القاوقجي حالاً لطلب الوفد المذكور وأمر بتشكيل رتل يقوده ضابط ركنه النقيب مأمون البيطار ويتألف من سرية مشاة وثلاث فصائل مدفعية ومصفحتين، وقد سحبت كل هذه القوات من جبهة مشمار هاعمك الساخنة. وكانت التعليمات تقضي بانضمام سرية المشاة مع فصيل المقتبلتين 75 مم إلى حامية القدس، بينما يقوم ما بقي من المدفعية، وهو فصيل 75 مم مقطور وفصيل 105 مم مقطور مع المصفحتين بمساندة الهجوم المعاكس الذي كان يقوده عبد القادر الحسيني في القسطل. ولكن هذا المجاهد البطل استشهد أثناء سير النجدة المذكورة .

صعوبة الوصول

عند وصول فصيلي المدافع إلى سفح مرتفع قرية "بدو" المشرفة على القسطل والقدس بعد ظهر 8 أبريل 1948 واجهتهم صعوبة وهي استحالة صعود السيارات قاطرة المدافع وحاملة الذخائر إلى ذلك المرتفع لوعورة الطريق. وكان يجب الاستعجال بوضع المدافع في مرابضها لدخول المعركة بأسرع وقت ممكن. وتقرر ترك فصيل الـ 75 مم في السفح ريثما يتم تعبيد الطريق إلى المرتفع، وبفك مدفعي الـ 105 مم، كل مدفع إلى أربع قطع، وحمل هذه القطع مع الذخائر على سواعد الرجال.

مساعدة الأهالي

سارع الأهالي من سكان المنطقة من رجال ونساء وصبية لمساعدة المجاهدين في حمل أجزاء المدفعين والذخيرة، فحملوها وصعدوا بها إلى أعلى المرتفع بسرعة كبيرة. ثم إنهم عادوا جميعاً إلى الطريق وعبدوه ونظفوه ليصبح صالحاً لتقدّم السيارات عليه. وتم تجهيز المربض على مرتفع "بدو" في أقل من ساعتين مع فصيل 105 مم وذخائره جاهزاً للرمي على القسطل ومستعمرة مودسا التي ما كانت سوى حيّ شرقي لها. وفتحت النيران قبيل الساعة الخامسة على الأهداف المحددة، فصعق الصهاينة الذين فوجئوا تماماً بحضور المدفعية. وصمتت رشاشاتهم التي كانت تلعلع عند وصول القوة. ولم تغرب شمس ذلك اليوم حتى كان الصهاينة يلوذون بالفرار ويقوم الجهاد المقدس باستعادة القسطل. وعند غروب الشمس كان الطريق إلى مرتفع "بدو" صالحاً لصعود السيارات، فوصل فصيل الـ 75 مم وربض إلى جانب الـ 105 مم، ووصلت كل الذخائر.